همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية: دراسة تحليلية في كتاب مغني اللبيب و أثرها التفسيري

فراس أحمد النصر* أ.د. نزار عطاالله صالح**

تاريخ وصول البحث: 2024/11/14م تاريخ قبول البحث: 2024/1/27م

الملخص

تناولت هذه الدراسة جزءاً من باب المفردات من كتاب ابن هشام الأنصاري مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. وذلك بهدف توضيح الكلام عن همزة الاستفهام، ودراستها دراسة علمية طبقاً لأصول علم النحو والتفسير وقواعده، ومناقشة المسألة وبيان أقوال المفسرين والنحاة، وذكر من وافق ابن هشام ومن خالفه، وبعدها بيان الأثر التفسيري الذي تركه هذا الحرف، وترجيح الباحثين إن كان ثمة ترجيح، وتكمن أهمية الدراسة في إفادتها للمختصين من طلبة العلم المهتمين بدراسة حروف المعاني وتحليلها ونقدها، والإفادة منها في دقة النّظرِ وإعمالِ للفكر وتوسعة المدارك، وقد سلك الباحثان المنهجين التحليلي والنقدي، وخلصت هذه الدراسة إلى نتائج عدّة أبرزها:

1. إنَّ ابن هشام لم يكن مجرد ناقل عمّن سبقه، وإنما كان مناقشًا، ومحللاً، ومستدركًا أحيانا على بعض المفسرين في بعض المسائل؛ مثل الزمخشري.
2. تعمّق ابن هشام في المسائل بعد ذكرها وتدليله عليها بالشواهد القرآنية لهو أكبر دليل على قوة الحافظة.
3. سعة علم ابن هشام وهذا ظهر من خلال دقة ملاحظاته التي ذكرها في باب الألف المفردة (همزة الاستفهام)، وسيعرّف الباحثان بمعنى الألف المفردة في التمهيد، وهذا مما أثار كلاما حول قضايا عقدية ونحوية وتفسيرية.

الكلمات المفتاحية: همزة الاستفهام، الشواهد القرآنية، كتاب مغني اللبيب.

* باحث.

**أستاذ دكتور، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

The Interrogative *hamza* in the Quranic Evidence: An Analytical Study in the Book "Mughnil-Labib" and Its Interpretive Impact

Abstract

This study investigates a part of the vocabulary section of Ibn Hisham Al-Ansari's book *Mughni Al-Labib* concerning the books of syntactical analyses. The study aims to clarify the interrogative meaning of *hamza*, studying and discussing this issue scientifically according to the principles of syntax and interpretation with its rules, viewing the statements of interpreters and grammarians, mentioning those who agreed and who disagreed with Ibn Hisham, and then explaining the interpretative effect left by the *hamza*. The significance of the study lies in its benefits to specialists and students interested in studying, analyzing, and criticizing the particles of meaning. It is also important in its contribution to accuracy of insight, intellectual engagement, and broadening of understanding. The study revealed the following conclusions, the most prominent of which are:

1. Ibn Hisham was not merely a transmitter of his predecessors' views; rather, he was a debater, an analyst, and at times a corrector of some exegetes on certain issues—such as Al-Zamakhshari.
2. In-depth issue exploration of Ibn Hisham, after presenting them and supporting them with Qur'anic evidence, is the strongest proof of his remarkable memory.
3. Ibn Hisham's scope of knowledge is evident through the precision of his observations stated in the section on the *interrogation hamza* (the interrogative alif).

Keywords: The interrogative hamza, Quranic evidence, Ibn Hisham, Mughnil-Labib

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد،

ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدا رسول الله.

الحمد لله الذي تفضل على عباده بهذا القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو حبل الله المتين النور المبين الصراط المستقيم، الذي تكفل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر : ٩]، لذا كان حقا على كل مسلم أن يعتني بكتاب الله حفظا وفهما وعملا وتدبرا، ومما يعين على ما سبق ذكره المعرفة باللغة العربية بفروعها من نحو وصرف وبلاغة، ومعرفة لغة العرب الذي نزل القرآن الكريم بلسانهم، وهذا ما جعل بعض المفسرين ينالون حظا وافرا من الاهتمام من قبل الباحثين وأهل العلم ممن جعل للغة العربية جزءا كبيرا في تفاسيرهم أو في كتبهم التي ربطت اللغة بالقرآن الكريم، كأمثال ابن هشام الأنصاري رحمه الله، الذي جعل الشواهد القرآنية حاضرة في كتابه؛ (مغني اللبيب)، وارتقت به ليكون في طليعة الكتب التي تناولت المسائل النحوية مزينة بكلام رب العالمين، ومن هنا عزمنا مستعينيْن بالله على جعل هذا السفر العظيم مناط دراستنا، واقفيْن على تلك الشواهد، مبينين ما فيها من روعة الكلام ومحللين لها من ناحية تفسيرية، فكان هذا العنوان الموسوم ب (همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية: دراسة تحليلية في كتاب مغني اللبيب وأثرها التفسيري) .

وسيكون عمل الباحثين في هذه الدراسة ذكر الشاهد القرآني الذي استشهد به ابن هشام في كتابه مغني اللبيب في باب همزة الاستفهام وتوضيح هذا الشاهد وربطه بالتفسير، مبينا الأثر التفسيري، والتركيز على كلام ابن هشام إن وجد، والوقوف حكما عند المسائل التي يذكر فيها الخلاف أحيانا بين القراء والنحويين والمفسرين أمثال: الزمخشري وأبي حيان وسيبويه، وبعدها مناقشة المسألة وبيان أثرها التفسيري توضيحا وترجيحا، وسوف يكون هذا البحث لهمزة الاستفهام حسب ترتيب ابن هشام لها في كتابه، مع ذكر شاهد أو أكثر إن استدعى ذلك.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

1- دراسة الشواهد القرآنية عند ابن هشام في همزة الاستفهام الحقيقي وبيان الأثر التفسيري فيها.

2- دراسة الشواهد القرآنية عند ابن هشام المتعلقة بأحكام الهمزة والمتعلقة بخروجها عن معناها الحقيقي وإبراز مكانها في موضعها، وتحليل الشاهد بناء على كلام المفسرين والنحويين.

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى ما يأتي:

1- مكانة الإمام ابن هشام وكتابته في علم النحو، وخاصة عند الكلام عن همزة الاستفهام.

2- ربط علوم النحو بالقرآن الكريم وخاصة التفسير الذي يعد من أهم الطرق الموصلة لفهم كتاب الله عز وجل.

3- بيان أهمية همزة الاستفهام وأثرها في تجلية معرفة معاني القرآن الكريم وأثرها في التفسير.

مشكلة البحث:

جاء هذا البحث محاولا الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية في كتاب مغني اللبيب لابن هشام وأثرها التفسيري؟

- وتفرع عن هذا السؤال السؤالان الآتيان:

1- ما همزة الاستفهام الحقيقي في الشواهد القرآنية وأحكامها في كتاب مغني اللبيب لابن هشام وأثرها التفسيري؟

2- ما المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب وأثرها التفسيري؟

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المناهج الآتية:

1- المنهج التحليلي القائم على تتبع الشواهد القرآنية في كتاب مغني اللبيب المتعلقة بهمزة الاستفهام وتحليلها وبيان أثرها في التفسير.

2-المنهج النقدي القائم على الموازنة وبيان وجاهة كلام ابن هشام وبيان الراجح، ولم يتعرض الباحثان للمنهج الاستقرائي وذلك خشية الإطالة.

حدود البحث:

تناول هذا البحث الجزء الأول من الألف المفردة من كتاب مغني اللبيب، وهو ما يمثل الكلام عن همزة الاستفهام، وكل ما يتعلق بها حسب ما بُيِّنَ في مشكلة الدراسة.

الدراسات السابقة:

لقد حظي هذا الكتاب العظيم بشروحات وتحقيقات عدة ورسائل جامعية، منها:

1- توجيه الشاهد القرآني في مغني اللبيب (تأصيل وتطبيق ومنهج)، زمزم أحمد علي تقي المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، 1432هـ-2011م، وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا أننا سنقوم بربط الشواهد بالناحية التفسيرية المتعلقة بهمزة الاستفهام، وهذه الدراسة نحوية فقط.

2- جهود ابن هشام في تفسير القرآن من خلال كتابه مغني اللبيب وهو بحث للأستاذ بو عمرة سونة مالك، جامعة البليدة 2 وهو منشور في مخبر اللغة العربية وآدابها، العدد السادس عشر، الجزائر، وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا، حيث إن الأولى ركزت على ذكر جهد ابن هشام في التفسير، وطرح أسئلة معينة حول التفسير واللغة والاجابة كانت من كتاب مغني اللبيب على سبيل المثال، التفسير من جهة الخلاف والتوجيه والترجيح، حيث يذكر الباحث مثالا من المغني مطابقا للعنوان الذي ذكره، وبعدها يذكر الخلاف الذي ذكره ابن هشام من غير تعقيب، ويذكر ردوده على بعض المفسرين دون أي تعقيب، أما دراستنا فتناولت الكلام عن همزة الاستفهام تحليلا ومناقشة وتبيانا لأثرها في التفسير، من خلال الشاهد وكلام المفسرين والنحويين .

3- جهود ابن هشام في خدمة القرآن الكريم، د. أسماء موسى، حيث تناولت الباحثة كتبا عدة كان لها فضل في خدمة القرآن وذكرت من الصفحة 345 الى الصفحة 361 جهد ابن هشام في مغني اللبيب، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، 1- 6- 2018 ، وبينت منهج ابن هشام في إعطاء المفسر العدة والعتاد اللازمين للمفسر، وبينت طريقة ابن هشام في استشهاده بالآيات القرآنية، فكانت إما منطقا لاستنباط الآيات، أو ناقش من خلالها المفسرين، أما دراستنا فتناولت الكلام عن همزة الاستفهام تحليلا لها ومناقشة وتبيين أثرها في التفسير، من خلال الشاهد وكلام المفسرين والنحويين .

خطة البحث:

قام الباحثان بتقسيم الدراسة إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، مقسمة إلى مطالب وفروع وخاتمة.

واشتمل التمهيد على التعريف بمفردات عنوان الدراسة:

التعريف بهمزة الاستفهام.

المبحث الأول: همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية وأحكامها في كتاب مغني اللبيب لابن هشام و أثرها التفسيري، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: همزة الاستفهام الحقيقي في الشواهد القرآنية في كتاب مغني اللبيب لابن هشام و أثرها التفسيري:

المطلب الثاني: أحكام الهمزة في الشواهد القرآنية في كتاب مغني اللبيب و أثرها التفسيري:

المبحث الثاني: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في المغني و أثرها التفسيري، واشتمل على ثمانية معان:

المعنى الأول: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة التسوية و أثرها التفسيري.

المعنى الثاني: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة الإنكار الإبطالي و أثرها التفسيري.

المعنى الثالث: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة الإنكار التوبيخي و أثرها التفسيري.

المعنى الرابع: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة التقرير و أثرها التفسيري.

المعنى الخامس: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة التهكم و أثرها التفسيري.

المعنى السادس: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة الأمر و أثرها التفسيري.

المعنى السابع: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة التعجب و أثرها التفسيري.

المعنى الثامن: المعاني التي خرج إليها الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام في كتاب مغني اللبيب في همزة الاستبطاء و أثرها التفسيري.

التمهيد: التعريف بما تضمنه عنوان البحث:

التعريف بهمزة الاستفهام.

وهذه الأداة التي هي مناط البحث جزء من الباب الأول من كتاب مغني اللبيب، وهو باب المفردات، "وأعنى بالمفردات الحروف وما تضمّن معناها من الأسماء والظروف؛ فإنها المحتاجة إلى ذلك، وقد رتّبتها على حروف المعجم؛ ليسهل تناولها"([1])، وهي التي يقال لها حروف المعاني، وتكون مستقلة بذاتها، "والحرف عند النحاة أي في اصطلاحهم: ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، والحرف: الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلى ونحوهما "([2])، والهمزة جزء من هذه الحروف جعلها ابن هشام تحت مسمى الألف المفردة، قال المرادي: "والهمزة حرف مهمل، يكون للاستفهام، وللنداء، وما عدا هذين، من أقسام الهمزة، فليس من حروف المعاني، فأما همزة الاستفهام فهي حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال، وهي أصل أدوات الاستفهام ولأصالتها استأثرت بأمور" ([3])، وهذه الأمور هي كانت محور الدراسة موزعة على مباحثها ومطالبها، وقد بسط أصحاب المعاجم الكلام عنها فيرجع إليهم .

المبحث الأول: الشواهد القرآنية في تفسير همزة الاستفهام وأحكامها في كتاب مغني اللبيب لابن هشام و أثرها في التفسير، واشتمل على مطلبين:

يُعدُّ الشاهد القرآني من أقوى الأدلة على إثبات المقصود، كيف لا وهو كلام الله، وقد كان للشاهد القرآني كبير اهتمام عند العلماء، وخاصة علماء النحو، كابن هشام الأنصاري، وهذه الشواهد حفظت علينا اللغة العربية إذ تكفل الله بحفظ هذا القران العظيم، والشواهد القرآنية دلل عليها ابن هشام في باب المفردات، في الألف المفردة، وخاصة في همزة الاستفهام ويقصد ابن هشام بالمفردات، حروف المعاني وهي التي تكون مستقلة بذاتها، وتعطي معنىً، لا كحروف المبنى التي تكون متصلة بالكلمة ولا تنفك عنها، والهمزة قيل لها ألفا بناءً على ترتيبها في حروف المعجم، والاستفهام هو طلب الفهم، وذكر ابن هشام في هذا الباب ثلاث مسائل، أن تكون الهمزة للاستفهام على حقيقته، وذكر أحكام الهمزة، وذكر خروجها عن معناها الحقيقي .

المطلب الأول: دلالة الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾[الزُّمَر: ٩]**:**

قال ابن هشام: "أن تكون للاستفهام، وحقيقته: طلب الفهم، نحو «أزيد قائم» وقد أجيز الوجهان في قراءة الحرميّن، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾[الزُّمَر: ٩] ، وكون الهمزة فيه للنداء هو قول الفراء، ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير

«يا» ويقربه سلامته من دعوى المجاز؛ إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، ومن دعوى كثرة الحذف؛ إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام: أمن هو قانت خير أم هذا الكافر، أي المخاطب بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزُّمَر : ٨]، فحذف شيئين: معادل الهمزة والخبر"[4].

توضيح كلام ابن هشام:

بين ابن هشام أنَّ الأصل في همزة الاستفهام أن تكون على الحقيقة، وفي ذلك إشارة أنها تأتي مجازا، وضرب مثالا على الحقيقة، (أزيدٌ قائم)، فحلت الهمزة عن كلمة أستفهم، وهنا يعرب ما بعد همزة الاستفهام مبتدأ وهو زيد، وخبره قائم، لأنه لم يفصل بين العامل ومعموله، قال سيبويه: "فحرفُ الاستفهام لا يُفْصَلُ به بين العامل والمعمولِ[5]، وابن هشام أجاز الوجهين للهمزة، يعني أن تكون للاستفهام أو للنداء، وهنا موضع الشاهد مستدلاً بقراءة الحرميين، ويقصد بهما ابن كثير المكي، ونافع المدني، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزُّمَر : ٨]، وهي على تخفيف (أمَن)، ولكن هنا ننبه على أن حمزة الزيات قرأ بالتخفيف بالإضافة للحرميين، قال أبو عمرو الداني: "الحرميان وَحَمْزَة (أمن هُوَ) بتَخْفِيف الْمِيم وَالْبَاقُونَ بتشديدها"[6]، وقد نسب ابن هشام القول للفراء، أي أنها للنداء، قال الفراء: "يا من هو قانت وهو وجه حسن، العرب تدعو بألف، كما يدعون بيَا[7]، وبعد أن نسب القول له استبعده بحجة أنه ليس في القرآن الكريم نداء بغير(الياء)، و يقصد ابن هشام أنه لم يأت نداء في القرآن الكريم بالهمزة، إنما نداءات القرآن الكريم كلها بالياء، وبعد أن استبعد القول وهو مجيء الهمزة للنداء، قربه من جهة أخرى وهي أن تكون الهمزة للاستفهام، وكأن ابن هشام بين أمرين، ولكن هنا قربه بدليل أن الاستفهام هنا ليس على حقيقته، فحاشاه جل جلاله أن يستفهم عن شيء على الحقيقة بل استفهام على المجاز، وهو ما خرج لغاية كالتهكم مثلا، و ذكر ابن هشام سببا آخر لجعل هذه الهمزة للنداء قوله دعوى كثرة الحذف، ويقصد بها أن من جعل الهمزة للاستفهام فقد أكثر من الحذف، والمحذوف هنا معادل الهمزة والخبر وهما (أم و خير) فيصبح التقدير أمن هو قانت خير أم هذا الكافر، وهذا فهم من سياق الآية التي قبلها، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ [الزُّمَر : ٨]، والذكر أولى من الحذف، ويفهم من الكلام السابق أن ابن هشام يميل في هذا الشاهد إلى أنها للنداء، لعلة ما ذَكر.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

قال الطبري: "ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان: أحدهما أن يكون الألف في "أَمَّنْ" بمعنى الدعاء، يراد بها: يا من هو قانت آناء الليل، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بيا، فتقول: أزيد أقبل، ويا زيد أقبل، وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أهل الجنة، الثاني: أن تكون الألف التي في قوله: "أمن" ألف استفهام، فيكون معنى الكلام: أهذا كالذي جعل لله أندادا ليضلّ عن سبيله، ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه [8]، يلحظ من كلام الطبري أنه يقول بالوجهين، وقد وافق البغويُ الطبريَ في هذا الكلام [9]، والقرطبي [10] ، والرازي [11] ، و أما القول بالاستفهام وحده فقد قال به الزمخشري "قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من، وبالتشديد على إدخال «أم» عليه. ومن مبتدأ خبره محذوف، تقديره: أمن هو قانت كغيره، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو جرى ذكر الكافر قبله. وقوله بعده قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ وقيل: معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر. أوأهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل" [12]، بل ونرى أنه جعل سبب الاستفهام بالتخفيف دخول همزة الاستفهام على (مَن) الموصولة، وبالتشديد هو دخول أم على الاسم الموصول، ووافقه البيضاوي [13]، والألوسي [14]، وأبو السعود [15]، ولكنّ أبا حيان يعتبر أن الاستفهام خرج للتقرير ()، والتقرير حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه.

يلحظ من أقوال المفسرين والنحاة في الآية الكريمة أن الهمزة يصح أن تأتي للنداء وللاستفهام، أما عن القول إنها للنداء نبدأ بكلام ابن هشام، حيث إنه عندما ذكر الهمزة "قال الألف المفردة تأتى على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرفا ينادى به القريب، كقوله":

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التّدلّلِ ... وإن كنتِ قد أَزْمَعْتِ صَرْمي فَاجْمِلي [16]،

وهذا الشاهد الشعري دلل به ابن هشام على جواز مجيء الهمزة للنداء، وهذا البيت لامرىء القيس من معلقته[17]، ومما لا يخفى على أحد أن الشعر ديوان العرب، وكلام العرب من منثورهم وشعرهم يُعَدُّ حجة في اللغة، وأيضا استشهد ابن هشام بالفراء ونسب القول له، والفراء أشار إلى أن العرب تستعمل الهمزة للنداء، ومما يقوي القول أكثر أن الآية التي هي مدار البحث ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾، قد قرأ بها عدد من القراء بالتخفيف، والتخفيف عند جل

المفسرين أنها للنداء، كما مر سابقا عند ذكر أقوال المفسرين، وأيضا القراءات المتواترة تعطي معانيَ مختلفة، ولا حجة لمن قال إنَّ القرآن الكريم ليس فيه نداء بغير الياء، حيث ليس شرطا مجيء كل أدوات النداء في القرآن الكريم، وأما القول إن الاستفهام لا يكون بحق الله على الحقيقة، هذا الكلام فيه نظر، لأن الاستفهام يخرج عن معناه الحقيقي لمعان أخرى، قال ابن عاشور: "الذي هو قانت، وقائم، ويحذر الله ويرجو رحمته والمعنى: أذلك الإنسان الذي جعل لله أندادا هو قانت إلخ، والاستفهام مستعمل في التهكم لظهور أنه لا تتلاقى تلك الصفات الأربع مع صفة جعله لله أندادا "[18]، و أما القول بكثرة الحذف عند جعل الهمزة للاستفهام، فلك ألا تقدر معادلا كما فعل الزمخشري "أمن هو قانت كغيره"[19]، ومع القول بالوجهين فلا بد من أثر تفسيري تركه كل وجه من هذين الوجهين، أما الوجه التفسيري لمن قال بالنداء: نستطيع أن نبقي الهمزة على معناها في باب النداء وهي للقريب، وهو وجه حسن لو اعتبرنا أن المنادى هو رسول الله ﷺ بدلالة السياق حيث جاء فعل الأمر (قل) مباشرة بعد هذه الآية، فيكون المعنى أثبت يا رسول الله يا من أنت قائم آناء الليل ساجدا وقائما فلن يضرك كفر من كفر، ولن يكون مساواة بينك وبين من معك وهؤلاء الكافرين، قال السمين الحلبي: "أَنْ تكونَ الهمزةُ للنداءِ، و «مَنْ» منادى، ويكون المنادى هو النبيَّ ﷺ"[20]، وعند اعتبار الهمزة حلت محل حرف النداء الياء، "والياء حرف نداء للبعيد أو من هو بمنزلته من نائم أو ساه" [21]، يكون الخطاب لأي قانت، وهو نداء إلهاب وتهييج، بمعنى تحريك وتهييج الشعور الإيماني لديهم "والذي حسن إخراجه مخرج التنبيه البيان عن حاجة الداعي إلى إقبال المدعو عليه بما يطلبه، فقد وقف في ذلك موقف من كأنه مغفول عنه، وإن لم يكن المدعو غافلا، وأنه قد صارت منزلته منزلة من غفل عنه"[22]، وهو نداء لمن غفل أو أصابه فتور فيكون بمثابة المدح وتحريك المشاعر بداخله، وحتى يكون منتبها، وخاصة أن الذي ينادي هو الله جل جلاله، فيا من اجتمعت بك هذه الصفات القانت الساجد القائم فلن يضل الله لك عملا، وسوف تكون من أهل الجنة بخلاف هذا الكافر الذي سوف يتمتع قليلا وبعدها يكون من أصحاب النار، وكأن هذا النداء فيه تعريض للكافر بطريق الكناية أيضا، وأما الأثر التفسيري على اعتبار أنَّ الهمزة للاستفهام فهي نفي المساواة بين من هذه صفاته الحسنة وبين من هو كافر، ومما يقوي القول بنفي المساواة بين الفريقين الآية التي بعدها ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر : ٩] ،وهو استفهام تقريري من جهة، حيث إنك جعلت المخاطب يقر بتلك الصفات الحسنة التي اجتمعت به لتثبت في نفسه، وإنكاري؛ أي إنكار

على الكافرين بصفاتهم القبيحة مِن جعلهم لله أندادا، وأنهم من أصحاب النار، فكان بمثابة توبيخ لهم وإنكار عليهم، وقد يكون تهكما كما قال ابن عاشور، والتهكم من الله يكون بعدم المبالاة بهؤلاء الكافرين، وهذا التهكم فُهم عن طرق الكناية عند ذكر صفات المؤمنين .

المطلب الثاني: أحكام الهمزة:

وقد خصها ابن هشام بعدة أحكام، يعنينا منها ما كان له فيها شاهد قرآني.

الفرع الأول: جواز حذفها:

استشهد ابن هشام على جواز حذف الهمزة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأَنْعَام: ٧٦]، (هذا ربي) في المواضع الثلاثة، والمحققون على أنه خبر، وأنّ مثل ذلك يقوله من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل؛ فيحكي كلامه ثم يكرّ عليه بالإبطال بالحجة[23]، وإثبات حجة الخصم سيكون في مناقشة المسألة.

توضيح كلام ابن هشام:

الكلمة العربية يحوز فيها الحذف والذكر بناء على السياق، ويقصد بالمواضع الثلاثة هي الآيات التي بعد هذه الآية، وفيها قوله تعالى : (هذا ربي)، و هي حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام عند رؤية الكوكب والقمر والشمس، وعبارة، والمحققون على أنه خبر، عبارة تدل على دقة نقل ابن هشام رحمه الله وأمانته، ومعنى خبر هنا هو ما كان مقابلا للإنشاء ، فالكلام نوعان : إما خبر أو إنشاء، والخبر: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي هو ما يصح أن يقال لقائله: أنه صادق فيه أو كاذب، بأن يكون القول مطابقًا للواقع، أو غير مطابق [24]، والمقصود هنا بالخبر، إبقاؤها دون استفهام، لأن الاستفهام داخل في باب الإنشاء، و لكن ابن هشام بين أن من أبقاها على خبريتها أراد دحض حجة خصمه، فهي حكاية قول الكفار لعلة الإنكار عليهم كما حصل مع إبراهيم عليه السلام .

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

عند استعراض أقوال المفسرين نرى أن الإمام الطبري ذكر رأيين في هذه المسألة، "فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي"، فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: لا أحب الآفلين "فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي"، فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين "فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر" فعبدها حتى غابت، فلما غابت قال: يا قوم إنّي بريء مما تشركون " [25]، وقال آخرون منهم: إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي: ليس هذا ربي. "وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك، فتحذف "الألف" التي تدلّ على

معنى الاستفهام " [26]، وقد وافق الطبريَ طائفةٌ من المفسرين منهم البغوي، [27]، والواحدي [28]، والقرطبي [29]، والخازن[30]، ولكننا نرى الزمخشري لا يقول بالاستفهام، بل أبقاها على خبريتها، فقال : " قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة { لا أُحِبُّ الأفلين } لا أحبّ عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى آخر، المحتجبين بستر [31]، "و قيل: هو خبر مَحْضٌ بتأويل ذكره أَهْلُ التفسير، وقيل: بل هو على حَذْفِ همزة الاستفهام، أي: أهذا ربي " [32]، و قد ذكر ابن الجوزي ثلاثة أقوال في معنى (هذا ربي)، " أحدها: أنه على ظاهره، والثاني: أنه قال ذلك استدراجا للحجة، ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أفولها، والثالث: أنه قال مستفهما، تقديره: أهذا ربي؟ " [33].

مما سبق من كلام المفسرين نجد أن جميع ما ذكروه تحتمله الآية إلا قول من قال: إن هذا خبر على حقيقته دون تأويل، وإنَّ إبراهيم عليه السلام، قال: هذا ربي، موقنا بها وإن هذا الكلام على ظاهره، وقد علل بعض المفسرين هذا الرأي أن إبراهيم عليه السلام، قال هذه العبارة قبل بلوغه، وهذا مما نجل به أنبياء الله أن يقع عليهم كفراً فكيف بأبي الأنبياء؟ فهذا كفر بواح، وقد مدحه الله في مواطن عدة في القرآن الكريم، والدليل الآخر هو قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)﴾ [الأَنْعَام : ٨٣]، وحرف الجر هنا يفيد الاستعلاء والتمكن، وأنَّ إبراهيم عليه السلام كان متمكنا من هذه الحجة فكيف يكون شاكا، واستعمال اسم الإشارة تلك الدال على البعد مع نسبة الحجة لله دال على العظمة وعلى تمكن إبراهيم عليه السلام من الحجة، وفي حال تقدير الهمزة إما أن تكون استفهامية خرجت عن غرضها الأصلي للتهكم والسخرية، وما أجمل ما قال الرازي في هذا، "معناه هذا ربي في زعمكم واعتقادكم، ونظيره أن يقول الموحد للمجسم على سبيل الاستهزاء : إن إلهه جسم محدود أي في زعمه واعتقاده" [34]، أو أنَّ الاستفهام للإنكار، وهو وجه قوي، وخاصة أن إبراهيم عليه السلام أنكر على أبيه قبلها بآيتين، ﴿* وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأَنْعَام : ٧٤]، وهنا الربط بين الاستفهامين بقرينة السياق، والهمزة للاستفهام التوبيخيّ [35]، أي همزة (أتتخذ)، و قد جاء في أشعار العرب في قول عمر بن أبي ربيعة ما يدل على حذف الهمزة، في قوله [36]:

بَدَا لي مِنْها مِعْصَمٌ يَوْمَ جَمَّرَتْ ** وَكَفٌّ خَضِيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنانِ

فوالله ما أدري وإني لحاسبٌ ** أبسَبْعٍ رَمَيْتُ الجَمْرَ أَمْ بِثَمان،

موضع الشاهد أبسبع، وقد كان لكل وجه مما ذكر أثر تفسيري، فالقول بالخبرية دل على إعمال العقل في إثبات الحجج، وأنك أتيت للمخاصم بحجج من صلب ما يعبد ويتقوى به، وهذا أدعى لبهت حجة الخصم، وتوظيف حجة الخصم يكون في تفنيد آرائه من خلال مجاراته مع ما يظن انَّه حق، وفيه أثر تربوي كيف ينبغي على الداعية أن يناظر خصمه، وقد كان هذا الأسلوب حاضرا في قصة إبراهيم عليه السلام، فمع النمرود كانت محاجة قريبة من هذه، فبهت الذي كفر، وكذلك عند تحطيم الأصنام، وهذا الأسلوب يكون مع قوم بلغوا من العناد حدا كبيرا، وهذا قمة العدل، حيث لن يبقى للخصم أدنى دليل تقوم به حجتهم، وقد تدرج إبراهيم عليه السلام مع قومه ثلاث مرات بقوله : هذا ربي، وهذا معنى كلامهم ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل؛ فيحكي كلامهم ثم يكرّ عليهم بالإبطال بالحجة، فلو أن إبراهيم من أول الأمر واجههم بحقيقة بطلان عبادتهم لوقعوا به، وقد تبرء إبراهيم عليه السلام من عبادتهم ووجه وجهه لله، أما الأثر التفسيري الذي تركه الاستفهام فهو بمثابة المنكر عليهم والموبخ لهم، فكيف تعبدون آلهة تغيب ولا تستطيع تلبية دعاء وحاجة من يعبدونها، فأين عقولكم ذهبت، وقد كان في نفس هذه القصة استفهام من إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(80) ﴾[الأنعام : ٨٠] ، والهمزة هنا للإنكار، فجاء في نفس هذه القصة ثلاث مرات همزة الإنكار؛ واحدة منها مضمرة التي هي مدار البحث في هذه المسألة، فإبراهيم عليه السلام مستهجن فعلهم، والاستفهام ترك في نفوسهم حرجا، فإبراهيم عليه السلام ينتظر منهم جوابا، ليدمغ حجتهم، وإذا لم يجاوبوا فهذه الهزيمة بعينها، وهذا إن دل دل على مدى ثقة إبراهيم عليه السلام، فهو كرر عليهم الاستفهام ثلاث مرات (أهذا ربي)، و الجرجاني يرى أن الإنكار" ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب [37]"، و ما أعلاه من أسلوب أن تأتي خصمك من كل الجوانب، لإثبات وحدانية الله جل جلاله .

الفرع الثاني: دخولها على النفي:

ذكر ابن هشام شاهدا قرآنياً على دخول الهمزة على النفي، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٦٥] ، وموضع الشاهد، ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾.

توضيح كلام ابن هشام:

اعتقد ابن هشام أنَّ (لمّا) هنا هي نفسها النافية، ولكن في الحقيقة هي ظرفية، أو ما يقال لها الوجودية، ومعنى الوجودية هي حرف وجود لوجود، وهي ظرف بمعنى حين، وإذا ولي لما فعل ماض لفظاً ومعنى فهي ظرف بمعنى إذ، فيه معنى الشرط [38].

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

قال الطبري: يعني تعالى ذكره بذلك: أوَ حين أصابتكم، أيها المؤمنون [39]، وقد وافق الطبريَ جلُ المفسرين والنحاة [40] على أن (لمّا) هنا ظرف زمان بمعنى حين.

ما ذهب إليه المفسرون والنحاة في أنّ (لمّا) ظرفية هو الصحيح، وأمَّا الخطأ الذي وقع فيه ابن هشام فيتجاوز عنه لما اعتذر فيه أول مقدمة كتابه، أن الجواد قد يكبو، وأن الصّارم قد ينبو، وأن النار قد تخبو، فكان وهما منه رحمه الله.

الفرع الثالث: الهمزة لها حق الصدارة:

" ذكر ابن هشام أنَّ الهمزة لها صدر الكلام فلا يتقدم عليها شيء بدليلين، أحدهما: أنها لا تذكر بعد أم التي للإضراب كما يذكر غيرها، لا تقول: أقام زيد أم أقعد، وتقول: أم هل قعد، الثاني: أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدّمت على العاطف تنبيها على أصالتها في التصدير، نحو نحو ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [غَافِر : ٨٢]، وأخواتها تتأخر عن حروف العطف كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة، ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان : ١٠١] , ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التَّكْوِير : ٢٦] ,﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غَافِر : ٦٢], و هذا مذهب سيبويه والجمهور، وخالفهم جماعة أوّلهم الزمخشري، فزعموا أن الهمزة في تلك المواضع في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدّرة بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[غَافِر : ٨٢] أمكثوا فلم يسيروا في الأرض، ويضعف قولهم ما فيه من التكلف، وأنه غير مطرد في جميع المواضع، أما الأول فلدعوى حذف الجملة، فإن قوبل بتقديم بعض المعطوف فقد يقال: إنه أسهل منه؛ لأن المتجوّز فيه على قولهم أقلّ لفظا، مع أن في هذا التجوز تنبيها على أصالة شيء في شيء، أي أصالة الهمزة في التصدير، وأما الثاني، فلأنه غير ممكن ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ [الرَّعْد : ٣٣] وقد جزم الزمخشري في مواضع بما يقوله الجماعة، منها قوله تعالى : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴿٩٧﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٩٧] , إنّه عطف على قوله

تعالى : ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأَعْرَاف :٩٥]، وجوّز الوجهين في موضع، فقال في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عِمْرَان : ٨٣] ، دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، ثم توسّطت الهمزة بينهما، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره: أيتولّون فغير دين الله يبغون " [41] .

توضيح كلام ابن هشام:

بيّن ابن هشام أنَّ الهمزة لها تمام الصدارة في الكلام، ولا يتقدم عليها شيء، وهذ معقول حيث لو أننا أخرنا الهمزة لانتقل الكلام من الإنشاء إلى الخبرية، بخلاف حروف الاستفهام الأخرى لها فقط الصدارة ، وذكر دليلين على تمام الصدارة لها، أنها لا تذكر بعد (أم) التي للإضراب الانتقالي، بخلاف أدوات الاستفهام الأخرى، والثاني: أنها تتقدم على حروف العطف، وضرب أمثلة تؤكد ما قاله، و نسب هذا الرأي لسيبويه والجمهور، وبيّن أن الزمخشري خالف الجمهور، حيث يرى أن الهمزة لم تتصدر الكلام، وأنها معطوفة على جملة محذوفة، ويكر ابن هشام ليضعف رأي الزمخشري، ويرى أنه تكلف لما في الجملة من الحذف، والأصل عدم الحذف، وأيضا أن الكلام هذا غير مطرد ، أي أنك لا تستطيع أن تقدر محذوفا في كل الآيات، وقام ابن هشام بوضع احتمال فيما لو اعترض الزمخشري ومن معه، بقولهم إنكم أيضا قمتم بتقديم جملة على الهمزة فلماذا تعترضون علينا ؟ أي أنَّ الجمهور عندما قالوا إنَّ الهمزة دخلت على حرف العطف فلا بد من أن يكون هناك معطوف عليه قبل الهمزة، فيرد ابن هشام أن هذا أسهل لوجود الآية التي قبلها، فالجمهور لا زيادة عندهم في الكلام خلافا للزمخشري، فالزمخشري يقدر جملة كاملة غير موجودة، وبين ابن هشام أنَّ الزمخشري أحيانا لا يستطيع أن يقدر محذوفا، وأحيانا يقول بقول الجمهور، وأما قول ابن هشام إنَّ الزمخشري وافق الجمهور في آية الأعراف ولم يقدر محذوفا فنجد أنَّه قدر محذوفا و هذا نص الزمخشري" وإنما عطف بالفاء، لأن المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى "[42]، و أحيانا يقول بالوجهين، أي العطف والحذف وهي الآية التي مدار البحث في هذه المسألة .

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

ويعني الباحثان بالآية هي قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عِمْرَان : ٨٣]، وهي التي جوز فيها الزمخشري الوجهين، " دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، والمعنى : فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره { أ } يتولون { فَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ }"[43]، وقد وافق عدد من المفسرين الزمخشريَ، الرازي والبيضاوي و

الواحدي والنسفي وأبي السعود [44]، ومن المفسرين من قال بوجه واحد وهو عطف جملة على جملة، أمثال أبي حيان وابن جزئ وابن عاشور[45]، ولكل وجهة هو موليها.

والخلاف في هذه المسألة كبير، ولكن قبل التفصيل لا بد من الرجوع إلى كلام ابن هشام السابق حيث إنَّه عندما ضعف قول الزمخشري ضعفه لسببين، التكلف لكثرة الحذف، ويرد عليه إن هذا المحذوف مما يقتضيه معنى الآية، وهو في مكانه، وأيضا حتى تبقى الهمزة والعاطف مكانهما، وقوله إنه غير مطرد لعدم مقدرة الزمخشري على تقدير محذوف، فهذا لا يضر في شيء، وأمر آخر إنَّ مسألة العطف مشتركة بين سيبويه والزمخشري، ولكنَّ الأول يعطف على شيء مذكور، والثاني على شيء مقدر، لأن سيبويه يرى أن حرف الاستفهام لا يُفْصَلُ به بين العامل والمعمولِ(46)، وعليه فإنَّ كلا الوجهين جائزان، سواء قول الجمهور أو قول الزمخشري، وقد كان لكل وجه أثر تفسيري، أمَّا من قال بعطف جملة على جملة، فإننا نرى أنَّ الآيات سياقها عن أهل الكتاب، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عِمۡرَان : ٧١] , ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ [آل عِمۡرَان : ٧٢] , ﴿* وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [آل عِمۡرَان : ٧٥]، لذلك استحقوا لقب الفاسقين إن هم تولوا، فأولئك أي البعداء من خصال الخير هم الفاسقون أي المختصون بالخروج العظيم عن دائرة الحق [47]، فهم الذين بغوا عن دين الله، فمن كانت هذه صفتهم من أهل الكتاب الفسق، فهم جديرون أن يطلبوا دينا غير دين الله، كيف لا وهم الذين نقضوا العهد، وأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم، بل فيه تحقير لهم عن طريق الكناية، و خاصة أنَّ لحاق الآية يشير إلى أنَّ كل من في السموات و الأرض سوف ينقاد لله، ولا ضير بالقول يا أهل الكتاب، يا من عاصرتم رسول الله، الذي جاء برسالة إخوانه الأنبياء، أقِروا برسالته واشهدوا بها حتى تكون نجاة لكم، ولا تكونوا مثل آبائكم الذين نقضوا وبدلوا وفسقوا وبغوا، وأما الوجه التفسيري بتقدير محذوف كما قال الزمخشري: أيتولون فغير دين الله يبغون، فهو إنكار عليهم لأنَّ تولِيهم بداية لطلب دين غير دين الله، و كأنَّ الزمخشري هنا عندما قدر محذوفا أراد ألا يعطف خبرا على إنشاء وهو وجه حسن لمن لا يرى ذلك، "وقدم المفعول الذي هو (أفغير) دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار متجه إلى المعبود بالباطل" [48]، لأنَّ غير هي المقصودة

من الإنكار وهو ذاك الدين الباطل، و هذا الإنكار يشمل كل من اتخذ دينا غير دين الله، أو من لم يتخذ بعد وأراد ذلك، بل ويشمل هذا الإنكار كل من كفر بنبي من الأنبياء لأنَّ دعوتهم واحدة ودينهم واحد، هو الإسلام لقوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٨٥].

المبحث الثاني: خروج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي:

وقد ذكر ابن هشام ثمانية معانٍ خرجت فيها الهمزة الاستفهام عن معناها الحقيقي، وهو طلب الفهم، وهذه المعاني مجازية نفهمها من خلال السياق، وفيه ثمانية معانٍ.

المعنى الأول: التسوية:

وقد ذكر ابن هشام الشاهد القرآني الآتي من قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المُنَافِقُون: ٦], وهي الهمزة الداخلة على جملة يصحّ حلول المصدر محلها [49].

توضيح كلام ابن هشام:

ويقصد أنَّ الهمزة والفعل الذي بعدها يصح أن يأتي المصدر مكانهما كقولك استغفارك وعدمه سواء، أو متساويان، والتسوية تكون بين شيئين أو أكثر، وهذا يدل على رسوخ وثبات عدم المغفرة لهم، لأنَّ الجملة الاسمية تدل على الثبات.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

ذكر المفسرون والنحاة والبلاغيون هذه الهمزة من الشاهد السابق، وبينوا أنَّها همزة التسوية، وهذا ما أشار إليه ابن هشام [50].

ومما سبق من اتفاق كلمة المفسرين والنحاة على خروج الهمزة من معناها الحقيقي إلى المجاز، وهو التسوية ترتب أثر تفسيري في هذا الوجه، هو عدم المبالاة بهؤلاء المنافقين، حتى إنَّ استغفار رسول الله لم ينفعهم، و(على) من قوله: عليهم بمعنى تمكن الوصف [51] ، فهم المتمكنون من صفة هي أسوأ صفة وهي النفاق، ومهما حاولوا أن تستغفر لهم فكل ذلك سواء، وكل ذلك نتيجة ما كسبت أيديهم، حيث إنَّهم عندما طلب منهم أن يستغفر لهم رسول الله لوّوا رؤوسهم، وهذا دليل على عنادهم، فكان التيئيس بهذه الآية، حتى وإن كان المستغفر لكم رسول الله، والنتيجة أنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين، وكأنَّ القوم وصلوا مرحلة عالية من الكفر والنفاق والفسوق، وهذه التسوية موافقة لحال القوم الذين استوى عندهم كل شيء، من إيمان وكفر، ومن حق

وباطل، فالأمر مستو عند الله، وهذا للمبالغة في عدم المغفرة للمنافقين، والظاهر أنَّ الذي سوى بين الشيئين هو (أم) .

المعنى الثاني: الإنكار الإبطالي:

الإنكار الإبطالي، وهذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع، وأن مدّعيه كاذب، نحو ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسْرَاء : ٤٠] , وقد ذكر ابن هشام شاهدا آخر، هو قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُرَات: ١٢]. (52) .

توضيح كلام ابن هشام:

وهو دخول همزة الاستفهام على فعل غير واقع ومدعيه كاذب حيث إنَّه لم يقع ولن يقع، فكأنَّ السائل يريد أن ينكر على المخاطب فعله الذي هو كذب، ولكنَّ الشاهد الآخر من سورة الحجرات فيه خلاف بين الإنكار والتقرير.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

لقد وافق جل المفسرين والنحاة ابن هشام أنَّ الاستفهام هنا للإنكار الإبطالي [liii]، وهذا في آية الإسراء، أمَّا في آية الحجرات فقد قال بعض المفسرين والنحاة إنَّ هذه الهمزة للتقرير، [liv]، إلا الرازي وابن عاشور [lv]، قالوا إنَّ الهمزة في آية الحجرات للإنكار.

مما سبق من اتفاق كلمة المفسرين والنحاة على خروج الهمزة من معناها الحقيقي إلى المجاز، وهو الإنكار الإبطالي لا بد من أثر تفسيري في هذا الوجه، في آية الإسراء، فقد أنكر الله عليهم ادعاءهم الباطل من جعل البنين لهم والبنات لله، وكذبهم مباشرة، فهو أدعى لإقامة الحجة عليهم، وهذا مما يجعل الكافرين في حيرة لعدم وجود جواب، فقد ثبت كذبهم عند خالقهم وعند البشر أيضا، وهنا لا بد من الإشارة لأمر وهو أنَّ الأمر المنكر هو الذي يلي الهمزة مباشرة، وهو الفعل أصفاكم، ومعناه أي اختصكم (lvi)، فكيف يخصكم ربكم بشيء نفيس وهو الأولاد في نظرهم والبنات لله، فأي عاقل يقبل هذا، فقولكم في غاية الفحش والكفر، وخاصة مع عطف واتخذ من الملائكة إناثا، على قولهم الأول، فناسب أشد الإنكار معهم، والملاحظ من سياق الآيات أنَّها جاءت تقرر الوحدانية لله وتنزع كل شرك، حيث إنَّ الآية التي قبلها" ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسْرَاء : ٣٩],

فالتوحيد أهم قضية في الوجود، وقد أشار الزمخشري لقضية مهمة وهي تنزيه الله عن الجسم، "إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام، ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون [lvii]، قال ابن عاشور: "الباء للتعدية دالة على معنى الاختصاص، أي قصر البنين عليكم دونه، أي جعل لكم البنين خالصة لا يساويكم هو بأمثالهم، وجعل لنفسه الإناث التي تكرهونها " [lviii]، تعالى الله عمَّا يقولون علوا كبيرا، أمّا الهمزة الواقعة في آية الحجرات، فكلا الوجهين جائز، فمن قال بالتقرير وهم الجمهور، فالمعنى صحيح فسوف يكون الجواب لا أحب، قال السمرقندي: "فكما تكرهون أكل لحمه ميتاً، فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء وهو غائب " [lix]، وكأنَّك تريد أن تنزع اعترافا مِن المغتاب، وهذا مناسب لتهويل جرم هذه الكبيرة قبل أن تقع، وخاصة عندما يستحضر تلك الصورة البشعة وهو يأكل لحم أخيه ميتا، وأما من قال إنَّها للإنكار فهي بمنزلة توبيخ لهم على فعلهم ومحبتهم لهذا الفعل، وعليه فمدعي فعل هذه الكبيرة كاذب حيث إنَّه يغتاب وبنفس الوقت لا يحب أكل لحم أخيه ميتا.

المعنى الثالث: الإنكار التوبيخي:

فيقتضى أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم، [lx]، وذكر ابن هشام الشاهد القرآني التالي، ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النِّسَاء : ٢٠] , وموضع الشاهد هو الاستفهام في ﴿ أَتَأْخُذُونَهُۥ ﴾.

توضيح كلام ابن هشام:

تختلف هذه الهمزة عما قبلها، أنَّها في الإنكاري فاعلها كاذب، وهنا في التوبيخي ملوم على فعله، وهناك الفعل لم يقع، وهنا وقع وحصل، أو تنبيها عن عدم حصوله، قال ابن الحاجب: "وإذا كان الإنكار باعتبار شرط مستقبل كان الفعل المقدم مضارعاً [lxi]، كما هو الحال مع هذا الشاهد.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

وقد اطلع الباحثان على أقوال المفسرين في هذه المسألة فوجدا اتفاقا من قبل ومن بعد ابن هشام على أنَّ هذه الهمزة للإنكار[lxii]، فعليه كان لا بد من أثر تفسيري، حيث كانت هذه الهمزة بمثابة عتاب على من أخذ مهر امرأة، وإن كان كثيرا، وأنت ملوم على فعلك أمام الله وأمام الناس حيث نزلت رتبتك، وفعلت فعلا فيه جاهلية، أو أنَّ هذا الاستفهام للنهي والتحذير من الاقتراب من أخذ مهر المرأة، أتأخذونه، استفهام نهي بمعنى التوبيخ [lxiii]، بل جعل أخذ هذا المال من البهتان و الإثم الذي يلحق صاحبه، فما ينبغي لأي أحد أن يأخذ هذا المال، بعد هذا الاستفهام لا يجد المؤمن أمامه إلا أن يكف يده عن مال زوجته، وعند ربط أداة الاستفهام بسياق الآية نجد

الفعل بهت وهو كالدهش والحيرة، يقال بهت الرجل يبهت بهتا والبهتة الحيرة، فأما البهتان فالكذب [lxiv]، فجاء الاستفهام واضعا صاحبه في دهشة وحيرة، مترددا أمام هذا الاستفهام لا جواب عنده .

المعنى الرابع: التقرير:

قال ابن هشام: "ومعناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره به، تقول في التقرير بالفعل: أضربت زيدا؟ وبالفاعل: أأنت ضربت زيدا، وبالمفعول: أزيدا ضربت، كما يجب ذلك في المستفهم عنه، وقوله تعالى تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢﴾ [الأنبياء : ٦٢], محتمل لإرادة الاستفهام الحقيقي، بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، ولإرادة التقرير، بأن يكونوا قد علموا، ولا يكون استفهاما عن الفعل ولا تقريرا به؛ لأن الهمزة لم تدخل عليه، ولأنه ﷺ قد أجابهم بالفاعل بقوله: ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾ [الأنبياء : ٦٣].

فإن قلت: ما وجه حمل الزمخشري الهمزة في قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البَقَرَة: ١٠٦] على التقرير؟ قلت: قد اعتذر عنه بأن مراده التقرير بما بعد النفي، لا التقرير بالنفي، والأولى أن تحمل الآية على الإنكار التوبيخي أو الإبطالي، أي ألم تعلم أيها المنكر للنسخ " [lxv].

توضيح كلام ابن هشام:

حملك المخاطب أي تريد منه أن يعترف ويقر بشيء قد وقع عنه الاستفهام، والذي يكون بعد الهمزة مباشرة هو الشيء المستفهم عنه وهو المهم، فمرة يكون المستفهم عنه الفعل، ومرة الفاعل، ومرة المفعول به، ولكنَّ الجرجاني ينتقد قول من قال إنَّه قدم للعناية "وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه " [lxvi]، إذن لا بد من سر ونكتة بلاغية من هذا التقديم، وبعدها ذكر الشاهد القرآني من سورة الأنبياء، وبين أنَّ الاستفهام قد يكون للتقرير، أو أنه على الحقيقة، لأنهم لم يعرفوا من حطم الأصنام، ومال ابن هشام أنَّ هذا الاستفهام للتقرير بدليل، بل فعله كبيرهم هذا، وبعدها يذكر ابن هشام شاهدا قرآنيا من سورة البقرة جعله الزمخشري للتقرير، واعتذر

عنه أنَّ المقصود من النفي في هذه الآية ليس ما بعد الهمزة، بل الفعل الذي بعدهما، وهو تعلم، كأنك تقول أتعلم أنَّ الله على كل شيء قدير، ولكنَّ ابن هشام يرجح أنها للإنكار.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

وقد وافق المفسرون من قبل ومن بعد ابن هشام على أنَّ هذه الهمزة للتقرير [lxvii]، وأمَّا آية البقرة فقد وافق الزمخشريَ فيها عددٌ من المفسرين، أي إنَّها للتقرير [lxviii].

مما تقدم من أقوال المفسرين والنحاة على أنَّ الهمزة للتقرير، ويقصد الباحثان آية الأنبياء، كان لا بد من أثر تفسيري حيث كان الاستفهام عن الفاعل وهو الذي يلي الهمزة لأنَّ تحطيم الأصنام حصل وانتهى، وكأنَّ القوم يعرفون أنَّ إبراهيم عليه السلام هو الذي حطم الأصنام، ولكنهم يريدون منه تقريرا بفعله، وهذا من خلال السياق فهو الذي توعد هذه الأصنام،

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾ [الأَنبِيَاء : ٥٧] ، فهاتان الآيتان هما سباق ولحاق الآية التي فيها الاستفهام التقريري، فهم يريدون إقامة الحجة على إبراهيم عليه السلام وتقريره بهذا الفعل، ولو قال أحدهم إنَّ (بل) حرف إبطالي يبطل الكلام الذي قبلها : ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠﴾ [الأَنبِيَاء : ٦٠] , قيل إنَّما أراد إقامة الحجة عليهم ليظهر عجزهم وعجز آلهتهم، وهذا مما امتاز نبي الله إبراهيم عليه السلام، وأراد انتزاع الحجة وهم شاهدون على أنفسهم، وما أجمل المثال الذي ضربه الزمخشري، يبين تقريع وتبكيت إبراهيم عليه السلام لقومه "وهذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني. والقول فيه إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط: أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة، فقلت له: بل كتبته أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش "[lxix]، و أمَّا آية البقرة التي قال ابن هشام عنها إنَّها للإنكار الإبطالي أو التوبيخي، واعتذر فيها عن الزمخشري، فقد قال عدد من المفسرين بقول الزمخشري، وبالإمكان التوفيق بين القولين فتحمل الهمزة على التقرير، بتقرير المخاطب على الجملة المثبتة لا المنفية، أي قد علمت أنَّ الله على كل شيء قدير، فتكون إنشائية لفظا خبرية معنىً، والذي جعل الزمخشري يقول بالتقرير هو اجتماع الاستفهام مع النفي، فعدَّها كقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ

كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ [الأَنبِيَاء : ٦٣]، "استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك [lxx]، وإن اعْتُبِرت للإنكار فلأنَّ سياق الآيات عن النسخ، سواء نسخ الأحكام أو نسخ الشرائع، في معرض الكلام عن اليهود، ولكنْ كل وجه من هذه الوجوه ترك أثرا تفسيريا، أمَّا القول بالتقرير تكون بعد ما خُفف من الأحكام بالنسخ، قد علمت أيها المخاطب قدرة الله على إزالة حكم و إثبات حكم مكانه، وبعضهم يجعل الخطاب للنبي ﷺ ومعناه أنه "قد كان عالماً بذلك فضلاً من الله عليه، فخرج هذا الكلام مخرج التقرير على عادة العرب، تقول العرب للرجل: ألم أكرمك، ألم أفضل عليك، يخبره بذلك ، وينبهه عليه، وهو عالم به ومعناه: قد علمت ذلك، فكذلك هذا [lxxi]، وأما الأثر التفسيري في جعل الهمزة للإنكار فيكون الكلام عن نسخ الشرائع، والكلام موجه لليهود، وخالف اليهود في الجواز[lxxii]، والسياق يعين على ذلك فيكون إنكارا إبطاليا، لأنهم شكوا في قدرة الله على نسخ شريعة موسى عليه السلام بشريعة محمد ﷺ فكأنهم لم يعلموا قدرة الله، وهم كاذبون فيما ذهبوا إليه فيكون الكلام ألم تعلم أيها المنكر للنسخ قدرة الله .

المعنى الخامس: التهكم:

وذكر ابن هشام الشاهد القرآني الآتي، ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ [هُود: ٨٧]

توضيح كلام ابن هشام:

ذكر ابن هشام الشاهد ذكرا فقط، ولكن ننبه أنَّ معنى التهكم في مصطلح علماء البيان عبارة عن إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب [lxxiii]، وهذا يفهم من خلال السياق وأحوال المخاطبين.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

وقد وافق المفسرون من قبل ومن بعد ابن هشام على أنَّ هذه الهمزة في هذا الشاهد للتهكم [lxxiv]، ولكن لا بد من التنبيه إلى أنَّ الكلمة الواقعة بعد الهمزة وهي أَصَلَوٰتُكَ فيها قراءتان، " قرأ حمزة والكسائي وحفص {أصلاتك} بغير واحد وحجتهم إجماع الجميع على التوحيد في قوله {إن صلاتي ونسكي}، وقرأ الباقون (أصلواتك) على الجمع وحجتهم أنها مكتوبة في المصحف بواو وكذلك في سورة براءة" [lxxv]، وقد ورد في معنى الصلاة هنا ثلاثة أقوال: " " أحدها: دينه، قاله عطاء، والثاني: قراءته، قاله الأعمش، والثالث: أنها الصلوات المعروفة" [lxxvi]، مما تقدم من كلام

المفسرين والنحاة على أنَّ الهمزة للتهكم، كان لا بد من أثر تفسيري، ولكن ننبه إلى أنَّ من معاني الصلاة هو الدعاء [lxxvii]، وبناءً عليه فإنَّ مَن قرأ بالإفراد يكون المعنى المقصود منه التقليل، أي التقليل من شأن الصلاة و تحقيرها والاستهزاء بها، وقد يكون القوم قارنوها بصلاتهم وعكوفهم الطويل أمام أصنامهم فكأنهم تقالوا صلاة شعيب عليه السلام، وعلى قراءة الجمع يكون المعنى المقصود منه التكثير، فصلواتك قد أثرت عليك يا شعيب حتى أصبحت تأمرنا وتنهانا عمَّا وجدنا عليه آباءنا فكثرة صلاتك قد أثرت في تعاملك معنا، "وإسناد الأمر إلى الصلوات غير حقيقي إذ قد علم كل العقلاء أن الأفعال لا تأمر"[lxxviii] ، وإنَّما ما تركته الصلاة من أثر على صاحبها، أي المعنى مجازي، وأمَّا عن المعاني الأخرى فكلها يحتملها المعنى إلا من قال إنَّها بمعنى الدعاء، فعلى قول من قال إنَّه الدين فتكون الصلاة أهم ما يميز دين المرء ومن أهم شعائره فهم مستهزئون بدينه وبما فيه من شعائر، وعلى قول من قال إنَّها القراءة فيكون شعيب عليه السلام له قراءة خاصة يقرء بها في داخل الصلاة وفي خارجها فيكونون مستهجنين هذا الفعل الجديد عليهم، وتكون هذه القراءة يسمعونها و فيها أوامر ونواهٍ عن أفعالهم الشنيعة مما قادهم إلى السخرية، وقد سمَّى الله القراءة في صلاة الفجر قرآنا، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسْرَاء : ٧٨]، وعلى قول من قال إنَّها الصلاة المعروفة فما من نبي إلا وأُمر بالصلاة وأمر قومه بها ولكن بهيئة تختلف عما هي عليه صلاتنا، وأمَّا من قال إنَّ الصلاة بمعنى الدعاء فهذا المعنى صحيح ولكنَّه بعيد هنا في سياق الآية، فالدعاء إمّا أن يكون لطلب هدايتهم، أو لحلول العذاب بهم وهذا بعيد أن يكون الدعاء آمرا، وعليه فلا بد للداعية أن يوطن نفسه على الصبر مما يلاقي من سخرية ممن حوله، وفيه دلالة على عجز المتهكم .

المعنى السادس: الأمر:

وذكر ابن هشام الشاهد القرآني الآتي: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾ [آل عِمْرَان: ٢٠]، وموضع الشاهد أأسلمتم:

توضيح كلام ابن هشام:

لم يبين ابن هشام إلا وجها واحدا وهو الأمر، ولكنَّ المتتبع لأقوال المفسرين يجد عدة آراء، سنبينها في مناقشة المسألة، والأمر له عدة أوجه بلاغية تفهم من خلال سياقها، وهذا ما سيتضح في مناقشة المسألة.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

وقد وافق بعض المفسرين والنحاة ابن هشام على أنَّ هذه الهمزة للأمر [lxxix]، وبعضهم يرون أنَّ هذه الهمزة خرجت للتهديد [lxxx]، ولكنَّ أبا حيان يرى أنَّها للتوبيخ أو التقرير [lxxxi]، وابن عاشور يقول إنَّ الاستفهام مستعمل في الاستبطاء والتحضيض [lxxxii].

مما تقدم من اختلاف آراء المفسرين والنحاة حول الهمزة في الفعل أأسلمتم، فإنَّ مما ذُكر يحتمله المعنى، ولكن لكل وجه من هذه الوجوه أثر تفسيري، فمن قال إنَّها للتهديد فإنَّ سياق الآيات يبين أنَّ رسول الله ﷺ وهو أشرف الخلق قد أسلم وانقاد لله، وقد أبان لكم كل شيء وبلغ الرسالة، وأقيمت عليكم الحجج، فأسلموا يا أهل الكتاب ويا أميين خيرا لكم، وإلا فمصيركم النار، ومن قال بالتوبيخ فالله يوبخهم على عدم إسلامهم وهم أكثر الناس معرفة بالإسلام، فما من نبي إلا وأمر قومه بالإسلام فكيف لا تسلمون، فهذا عيب عليكم فأنتم أهل الكتاب، ومن قال بالتقرير فهم أمام جواب لا مفر منه، إمَّا أن يقولوا أسلمنا فعندها لهم الهداية، أو غير ذلك، من إقامة الحجة عليهم، ومن قال بالاستبطاء ابن عاشور، والاستبطاء هو "عد الشيء بطيئا في زمن انتظاره، وقد يكون محبوبا منتظرا" [lxxxiii]، ومعنى هذا الكلام يا أهل الكتاب ألم يأن لكم أن تسلموا، وها قد جاء النبي الذي كنتم تنتظرون مجيئه، فكأنَّ الكلام خرج لترغيبهم وحثهم على الإسلام، فعليه نجد أنَّ تنوع هذه الأساليب الاستفهامية لم يأت عبثا، فهي لم تترك مهربا لأهل الكتاب والأميين إلا أن يسملوا .

المعنى السابع: التعجب:

وقد ذكر ابن هشام الشاهد القرآني الآتي، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفُرْقَان : ٤٥].

توضيح كلام ابن هشام:

والتعجب معنى قائم بالنفس يحصل من إدراك الأمور القليلة الوقوع، المجهولة السبب، فاستعمل لفظ الاستفهام في التعجب مجازا مرسلا من استعمال الدال على الملزوم في اللازم [lxxxiv]، وهذا المعنى سنبينه بعد قليل.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

لقد وافق بعض المفسرين ابن هشام على أنَّ هذه الهمزة للتعجب [lxxxv]، وقال بعضهم إنَّها للتقرير [lxxxvi].

مما تقدم من اختلاف المفسرين حول الهمزة في الشاهد السابق، فإنَّ كلا الوجهين جائز، وكان لكل وجه أثر تفسيري، فالذي قال بالتعجب، أريد به إدراك القدرة العجيبة التي لا تكون إلا لله، والأصل في هذا التعجب أن يقودك إلى إيمان خالص، وفيه تعريض بالكافرين الذين هم كالأنعام بل أضل سبيلا، فهم يمرون بآيات الله وهم عنها معرضون، فهذا من أعجب العجب، مد الظل، ثمَّ قبضه، ومن قال بالتقرير أريد انتزاع جواب منه على شيء هو يراه كل يوم ليقرر في نفسه القدرة المطلقة للرب، والجواب هنا ليس ليقول نعم رأيت وإنَّما ليقيم الحجة عليه، واستعمال كلمة الرب أدعى لتقرير ذلك في النفس، وعليه فإنَّ من قال بالتعجب يكون المخاطب رسول الله ﷺ، والمقصود من الخطاب المؤمنين الموحدين لأنَّ رسول الله ﷺ أكثر الناس معرفة بقدرة الله، ومن قال إنَّ الخطاب للكافرين يكون الاستفهام للتقرير، قال البقاعي: "ولما بين جمود المعترضين على دلائل الصانع، وتناهي جهلهم، وفساد طريقتهم، وكان المراد من العبد في تعرف ذلك أن ينظر في أفعال سيده بعين الحقيقة نظراً تفنى لديه الأغيار، فلا يرى إلا الفاعل المختار " [lxxxvii] وهنا الاستدلال من سباق هذه الآية وهي قوله تعالى:. ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرْقَان : ٤٤].

المعنى الثامن: الاستبطاء:

وقد ذكر ابن هشام الشاهد القرآني الآتي: ﴿* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴿١٦﴾﴾ [الحَدِيد : ١٦], ، وذكر بعضهم معاني أخر للها. لها .

توضيح كلام ابن هشام:

والمقصود توضيح معنى الاستبطاء، وقد تم تعريفه [lxxxviii]، وبالنسبة إلى اقتصار ابن هشام على هذه المعاني الثمان ففيه نظر، لأنَّ بعض العلماء أوصلها إلهارين معنىً، فمنها ما هو مقبول ومنها غير ذلك، أي تندرج تحت بعضها بعضاً، وقد ذكر الهاشمي غير التي ذكرها ابن هشام [lxxxix]، مثل النهي والنفي والتشويق والاستئناس والتهويل والاستبعاد والتحقير والتعظيم، وكل ذلك راجع للسياق وأحوال المخاطبين.

مناقشة المسألة و أثرها في التفسير:

وقد وافق جل المفسرين ابن هشام من قبل ومن بعد على أنَّ هذه الهمزة للاستبطاء [xc]، فعليه ترتب أثر تفسيري، ولكن لا بد من التنويه إلى أنَّ معظم المفسرين ذكروا أسباب نزول لا تصح في هذه الآية، ومنهم من جعلها في المنافقين، وهذا لا يستقيم أيضا، والراجح أنَّها في كل من انطبقت عليه شروط الإيمان، والمعنى، شحذ همم المؤمنين للأخذ بأسباب الخشوع، والاستبطاء له أثر نفسي لتهييج مشاعرهم وتحريكهم بسرعة وعدم الانتظار، لأنَّ هذا شيء محبوب منتظر، ولا يكونوا كأهل الكتاب أصحاب القلوب القاسية، والمؤمنون الأصل بهم أنَّهم أصحاب قلوب خاشعة، فقد يكون هذا من باب تذكيرهم، وتثبيتهم على الخشوع، أو أنَّ فيهم قصورا أراد الله لهم المسارعة لجبره بذكر الله والقرآن .

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد الوقوف على هذا البحث الذي جلى حرفا واحدا من حروف المعاني (همزة الاستفهام) من كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري – رحمه الله -، ظهرت جملة من النتائج هذه أبرزها:

1- الأهمية البالغة لحروف المعاني لفهم كتاب الله، وتجلية المعنى الأسمى من خلال هذه الحروف بشكل عام، والهمزة بشكل خاص، حيث ظهرت معانيها المتعددة من خلال الاستفهام الحقيقي والمجازي وأحكامها.

2- إبراز مكانة كتاب ابن هشام بين كتب النحو والتفسير، وقوة ذاكرة صاحبه الذي كان شديد الاستحضار للشواهد القرآنية، بل وكان مستدركا على جبلين عظيمين؛ هما الزمخشري وأبو حيان.

3- جلى هذا البحث بعض المعاني العقدية واللغوية وشيئا من القراءات القرآنية، وهذا راجع للخلاف حول الهمزة بين المفسرين والنحاة، حيث ترك الرأي الراجح أثرا تفسيريا.

4- ومن النتائج الخاصة إمكانية الإفادة من هذه الشواهد في تفضيل أهل العلم على غيرهم، وكان هذا في شاهد همزة التسوية، وأن يمرن الداعية نفسه على المواطن التي يتعرض فيها للسخرية كما في شاهد همزة التهكم.

التوصيات:

يوصي الباحثان بما يلي:

1- العمل على زيادة الاهتمام بهذا السفر العظيم من خلال تدريسه، كمادة أساسية لطلاب الدراسات العليا، كما هو الحال في الأزهر الشريف.

2- بث مواضيع ورسائل جامعية حول هذا الكتاب لما فيه من الفوائد التي تعين طالب العلم للوقوف على أدق القضايا النحوية الموصلة لفهم الآيات القرآنية، وخاصة طلاب التفسير.

3- محاولة شرح هذا الكتاب بطريقة سهلة وميسرة لطلاب العلم.

4- دراسة تعقبات واستدراكات ابن هشام على المفسرين.

الهوامش:

.

[1]() عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام جمال الدين، (761هـ - 1360 م)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ت، محمّد محيي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة الصادق للمطبوعات، (د – ت)، (د – ط)، ج1 ، ص13.

[2]() محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض، (هـ1205 – 1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (د – ت)، (د – ط)، ج23 ، ص 129 .

[3]() بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي،(749هـ - 1348م)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، هـ 1413- 1992م، ط1،ج1، ص31،30.

([4]) ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1 ص 13 .

([5])عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر سيبويه، (180 هـ - 796م)، **الكتاب**، تحقيق،عبد السلام محمد هارون ، القاهرة، 1408 مكتبة الخانجي، هـ - 1988 م، ط3، ج 1، ص 128 .

([6])عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، (444هـ - 1057 م)، **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق اوتو تريزل، بيروت، دار الكتاب العربي، 1404هـ/ 1984م ، ط2، ص 189 .

([7])أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، (207هـ - 761 م)، **معاني القرآن**، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، (د – ت)، ط 1 ،ج 2 ص 416 .

([8]) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفرالطبري، (310هـ - 923م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،1420 هـ - 2000م،(د – ط)، ج 21 – ص 365 ، 366 .

([9]) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، (510هـ - 1122م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ط1، ج 4 ص 81.

([10]) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي،(671هـ - 1214م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية،1384هـ - 1964 م ، ط2، ج – 15، ص - 238.

([11]) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (606هـ -1209م)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، (د – ت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ ، ط3، ج 26 – ص 428 .

([12]) محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (538هـ - 1143م)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (د - ت)، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407 هـ، ط3، ج 4 – ص 116 .

([13]) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (685هـ - 1292م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1418هـ، ج - 5 ص - 38.

[14]() شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (1342هـ - 1924م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ، ط1، ج 12 ص 236.

([15]) محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود، (982هـ - 1574م)، **إرشاد العقل السليم إلى مز ايا الكتاب الكريم**، (د – ت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د – ت)،(د – ط)، ج7 ص245.

[16]() ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج1 ص 13 .

[17]() حجر بن الحارث الكندي امْرُؤُ القَيْس، **ديوان امرؤ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، (د – ت)، (د – ط)، ص12، ط 5 .

[18]() محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، (1393هـ - 1973 م)، **التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984 هـ ، (د – ط)، ج 23 ص 346 .

[19]() الزمخشري، **الكشاف**، ينظر صفحة 4 .

[20]() شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، (756هـ - 1355 م)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ت، الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ج9 ص415 .

[21]() فضل حسن عباس، **البلاغة فنونها و أفنانها – علم المعاني** - ، الأردن، دار النفائس، 2018 م ، ط13، ص 169.

[22]() **يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء، (643هـ - 1245م)، شرح المفصل للزمخشري**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية،1422 هـ - 2001 م ، ط1، ج5 ص 53 .

[23]() ابن هشام، مغني اللبيب، ج 1 ص 15 .

([24]) حامد عوني،(1392هـ - 1972)، **المنهاج الواضح للبلاغة**، (د – ت)، مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، (د –ت)، ط-، ج2، ص6 .

([25]) الطبري، **جامع البيان**، ج11، ص480 .

[26]() الطبري، **جامع البيان**، ج11، ص484 .

[27]() البغوي، **تفسير البغوي**، ج2، ص139 .

[28]() علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (468هـ - 1076 م)، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود،السعودية، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1418هـ، ط 1، ج8، ص246.

[29]() القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، ج7، ص26 .

[30]() علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن، (741هـ - 1340 م)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ط1، ج2، ص128.

[31]() الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص137 .

([32]) سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، (880هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419 هـ -1998م، ج 8 ، ص 248.

[33]() جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (597هـ - 1201 م)، **زاد المسير في علم التفسير**، ت- عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1422 هـ، ط1، ج2، ص4.

[34]() الرازي، **التفسير الكبير** ج6 ، ص346 .

[35]() محمود بن عبد الرحيم صافي، (1985م – 1376 هـ)، **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، بيروت – دمشق، دار الرشيد، مؤسسة الايمان، 1418 هـ، ط4، ج7 ،ص195.

[36]() عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، (93هـ - 711 م)، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، أحمد أكرم الطباع، بيروت – لبنان، دار القلم، ص 209 .

[37]() عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني،الفارسي الأصل، (471هـ - 1074 م)، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق محمود شاكر،القاهرة، مطبعة المدني، 1413هـ - 1992م، ط3، ج1، ص 120.

[38]() المرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص -595 .

[39]() الطبري، جامع البيان، ج7، ص371 .

[40]() البغوي، معالم التنزيل، ج1– ص532، الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1- ص436، الواحدي، البسيط، ج 6، ص151، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 2، ص47، أبو حيان، البحر المحيط، ج3 ، ص418، السمين الحلبي، الدر المصون، ج3 ، ص473،

النسفي، (710هـ - 1310 م)، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، 1419 هـ - 1998 م، ط1، ج1، ص309 .

[41]() ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص15–16 .

[42]() الزمخشري، الكشاف، ج2، ص134 .

[43]() الزمخشري، الكشاف، ج1، ص291 .

[44]() الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص279، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج2، ص26، الواحدي، البسيط، ج5، ص403، النسفي، مدارك التنزيل، ج1، ص 270، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج2، ص254 .

[45]() أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص244، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي، (741هـ - 1340 م)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416 هـ ، ط1، ج1، ص158، ابن عاشو ، التحرير و التنوير، ج3، ص300 .

[46]() سيبويه، الكتاب، ج1، ص128 .

[47]() إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (885هـ - 1480م)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ج4، ص474 .

[48]() وهبة بن مصطفى الزحيلي،(1435هـ - 2015م)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1418 هـ، ط2، ج3، ص278 .

[49]() ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص17.

[50]() أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحاس، (338هـ - 949م)، **إعراب القرآن**، ت، عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421 هـ، ط1، ج4، ص286، الزمخشري، الكشاف، ج4، ص534 ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص 128، النسفي، مدارك التنزيل، ج3، ص487، أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص128، محمد صديق خان القنوجي، (1307هـ - 1890 م)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن** ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412 هـ - 1992 م، ج14، ص149، السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص340، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، (562هـ 1166م)، **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، 1418هـ- 1997م، ط1، ج5، ص443 .

[51]() ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 28، ص245 .

[52]() ابن هشام, مغني اللبيب, ج1, ص17 .

[liii]() الزمخشري، الكشاف، ج2، ص668، أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص52، السمين الحلبي، الدر المصون، ج7، ص358، النسفي، مدارك التنزيل، ج2، ص258، البيضاوي، أسرار التنزيل، ج3، ص256 ، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص173 .

[liv]()) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص373، أبو حيان، البحر المحيط، ج9، ص520، النسفي، مدارك التنزيل، ج3، ص256، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج5، ص136، الألوسي، روح المعاني، ج13، ص309، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج8، ص122 .

[lv]() الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص189، ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج26، ص255 .

[lvi]() معمر بن المثنى التيمى البصري أبو عبيدة، (209هـ - 824 م)، **مجاز القرآن**، المحقق: محمد فواد سزگين، القاهرة، مكتبة الجانجي، 1381 هـ، ط-، ج1، ص380 .

[lvii]() الزمخشري، الكشاف، ج2، ص668 .

[lviii]() ابن عاشور، ج15، ص108 .

[lix]() نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (690هـ - 1291 م)، **بحر العلوم**، ج3، ص338 .

[lx]() ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص18 .

[lxi]() عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين، (646هـ - 1249م)، **أمالي ابن الحاجب**، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، الأردن، دار عمار، 1409 هـ 1989 م، ج1، ص279 .

[lxii]() أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص573، السمين الحلبي، الدر المصون، ج 3، ص634، البيضاوي، أسرار التنزيل، ج2، ص66، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2، ص159، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص289.

[lxiii]() البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص588 .

[lxiv]() أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (395هـ - 1004م)، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج1، ص307 .

[lxv]() ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص18 .

[lxvi]() الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص98 .

[lxvii]() الزمخشري، الكشاف، ج3، ص124، الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص34، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج4، ص55، النسفي، مدارك التنزيل، ج 2، ص410، الألوسي، روح المعاني، ج9، ص62 .

[lxviii]() علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، (450هـ - 1058م)، **النكت والعيون**، ت، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية،ج1، ص172، أبو حيان، البحر المحيط ، مصدر سابق ، ج -1 ، ص – 522 ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، ج – 2 ، ص – 69 ، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص143 .

[lxix]() الزمخشري، الكشاف، ج3، ص124 .

[lxx]() الزمخشري، الكشاف، ج7، ص306 .

[lxxi]() مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني المالكي، (437هـ - 1054م)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الشارقة، جامعة الشارقة، 1429 هـ - 2008 م ، ط1، ج1، ص392 .

[lxxii]() نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (850هـ - 1446م)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**،المحقق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416 هـ ، ط1، ج1، ص92 .

[lxxiii]() يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي، (745هـ - 1345م)، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، بيروت، المكتبة العصرية، 1423 هـ، ط1، ج3، ص91.

[lxxiv]() البغوي، معالم التنزيل، ج3، ص462، النسفي، مدارك التنزيل، ج2، ص78، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص87، أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص 197، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 3، ص145 ، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص232، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (427هـ - 1038م)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1422، هـ - 2002 م، ط1، ج5، ص185.

[lxxv]() عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، (403هـ - 1012م)، **حجة القراءات**، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة،ص348 .

[lxxvi]() ابن الجوزي، زاد المسير، ج2، ص396 .

[lxxvii]() زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (666هـ - 1268م)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1415 – 1995، ص375.

[lxxviii]() ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج12، ص141 .

[lxxix]() البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص422، النسفي، مدارك التنزيل، ج1، ص244، السمرقندي، بحر العلوم ، ج1، ص202، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،الجلالين، **تفسير الجلالين**،(864هـ - 1389م)، السيوطي تقدم ذكر وفاته، القاهرة، دار الحديث، ط1، ص68.

[lxxx]() إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (311هـ - 923م)، **معاني القرآن وإعرابه**، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي،بيروت، عالم الكتب، 1408 هـ - 1988 م، ط1، ج1، ص390، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص45، الزمخشري، الكشاف ، ج1، ص347، السمين الحلبي، الدر المصون، ج3، ص93.

[lxxxi]() أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص78 .

[lxxxii]() ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج3، ص202 .

[lxxxiii]() أحمد بن محمّد بن محمّد بن يعقوب المغربي، (1128هـ - 1715م)، **مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح**، ت، الدكتور خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، 1424 هـ ،ط1، ج1، ص474.

[lxxxiv]() المغربي، مواهب الفتاح، ج1، ص490.

[lxxxv]() البقاعي، نظم الدرر، ج13، ص397، محمد سيد الطنطاوي، (1431هـ - 2010م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج10، ص204 .

[lxxxvi] الألوسي، روح المعاني، ج10، ص26، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص222، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19 ص39 .

[lxxxvii] البقاعي، نظم الدرر، ج13، ص396 .

[lxxxviii]ينظر ص 25 .

[lxxxix] أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، (1362هـ - 1943م)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، د. يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية، ج1، ص84، 85.

[xc]() الزمخشري، الكشاف، ج4، ص477، أبو حيان، البحر المحيط، ج1-، ص108، البغوي، معالم التنزيل، ج5، ص30، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج8، ص208، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية،(542هـ - 1148م)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت- عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422 هـ ، ط1، ج5، ص263 .